الكلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الماجستير

أستاذ المادة : أ.م.د علاء مطر تايه

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ المشرق الاسلامي في العصر العباسي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : History of the Islamic East in the Abbasid Era

اسم المحاضرة الخامسة باللغة العربية: الامارة الطاهرية (205هـ ـ 259هـ)، عوامل قيامها وابرز امرائها

اسم المحاضرة الخامسة باللغة الإنكليزية : The Tahiriyya Emirate (205 AH - 259 AH), the factors of its rise and the most prominent of its princes

صعود الأسرة الطاهرية:

بدأ نجم الأسرة الطاهرية في الظهور على مسرح الأحداث السياسية في منطقة المشرق الإسلامي منذ الأيام الأولى لبداية الدعوة العباسية، حيث التحقوا بها وشاركوا في أنجاحها. فطلحة بن زريق كان على قمة التنظيم العباسي في خراسان، إذ أنه تولى مكاتبه امام الدعوة العباسية في مقره السري في بلدة الحميمة ، وكان يقوم بقراءة كتب الأمام إلى رجال الدعوة في خراسان، أما اخوه مصعب بن زريق جد طاهر فقد عمل كتاباً لسليمان بن كثير كبير الدعاة في خراسان ويبدو أن هذين الأخوين كانا يتمتعان بشخصية قوية ويغلب عليهما الرزانة والهدوء والتعقل لكن طموحاتهم كانت كبيرة ومع ذلك فلم يجزوا بأنفسهم في ذلك الصراع الذي تفجر بين سليمان بن كثير وأبو مسلم الخراساني ، بل عملا ما في وسعهما عل اصلاح ذات البين بين الفريقين المتصارعين حرصاً منهما على الاحتفاظ بوحدة التنظيم الخاص بالدعوة الخاصة وأنها كانت لا تزال في مرحلتها السرية، وقد ظلا على هذا الموقف المتزن حتى بعد نجاح الثورة العباسية، حيث أسند لهما أبو مسلم الخراساني ولاية هراة وبوشنج.

أما عن نسب الطاهريين فالآراء مختلفة حول هذه القضية فمؤرخو الفرس يرون أن نسب هذه الأسرة يعود إلى ملوك الفرس القدامى، كذلك حاول المؤرخون الأفغان أن يرجعوه إلى النسب الأفغاني، وعلى العموم فالقضية الواضحة في هذا الأمر أن الطاهريين كانوا فرساً بغض النظر عما إذا كانوا إيرانيين أو أفغان، وقد سميت الدولة بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها طاهر بن الحسين الذي ولد في مدينة بوشنج عام 159هـ / 775م أحدى مدن خراسان، وكانت تحت حكم الطاهريين إذ تولاها طلحة بن زريق نيابة عن مسلم، وظل يحكمها بعد مقتله عام 136هـ كما تولاها أيضاً

الحسين بن مصعب والد طاهر كنائب عن المأمون أثنا فترة إمارته على خراسان, وقد شب طاهر في أسرة تمرست في شئون الحكم والإدارة وأخذت شخصيته في الظهور تدريجياً ففي أثنا فترة ولاية علي بن عيسى على خراسان كان طاهر من المعارضين له بسبب سياسته التي تتسم بالظلم والقسوة، الأمر الذي دفع علي بن عيسى على نفي طاهر إلى سارية ، وقد بدأت شخصية طاهر في الظهور بشكل واضح أثناء الحرب التي اندلعت بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون فقد استدعى المأمون طاهر بن الحسين وكان ينوب عنه في مدينة الري وكلفه قيادة قواته المتوجهة غرباً ضد أخيه الأمين، وفي نفس الوقت كان الخليفة الأمين قد اسند قيادة قواته إلى علي بن عيسى ، ولكن شتان ما بين القيادتين فعلي بن عيسى كان مكروهاً من أهالي خراسان منذ ولايته عليهم أيام الخليفة هارون الرشيد، وكان مجرد ذكر أسمه يدفع الأهالي هناك أن يقفوا ضده وقفة رجل واحد حتى يمنعوه من العودة إلى خراسان ثانية فيعيد ممارسته التي كانت تتسم بالظلم والعدوان ، هذا بالإضافة إلى أن ابن عيسى هذا قد استهان بعدوه واظهر عدم المبالاة لدرجة أنه رفض إرسال من يستكشف له أمر قوات طاهر ، معروفاً بحذره وحرصه فأخذ يعد للأمر عدة ، وأقام التحصينات ، ووضع دراسة شاملة للموقف وفرض ترتيبات أمنية مشددة على القادمين من بغداد حتى لا تتسرب عن جيشه أية معلومات ، بالإضافة إلى أنه أرسل العيون إلى قلب معسكرات عدوه واتصل ببعض قيادات علي بن عيسى واستمالها ولزيادة أرباك العدو كان يرسل الرسل إلى علي بن عيسى ومعهم نسخة البيعة التي تركها الخليفة هارون الرشيد لأبنائه حتى يذكره بحق المأمون وعندما كانت قوات الطرفين تلتقيان في ميدان المعركة كان رجال طاهر يرفعون نسخة البيعة على رؤوس الرماح حتى يوعزوا لأصحاب الأمين بأن صاحبهم قد نقض العهد وخالف الوصية، وكأنهم يريدون أن يقولوا لهم أننا وإياكم يجب أن نعود إلى نص البيعة وكان الهدف من هذا التكتيك الإيحاء لرجال الأمين بأنهم يقفون إلى جانب الظلم، وكذلك أظهر طاهر حنكة ودراية عسكرية عندما اختار مكان المعركة على مسافة ليست بعيدة عن الري وقد أسفر اللقاء عن هزيمة جيش الأمين ومقتل قائده علي بن

عيسى، فأرسل طاهر إلى المأمون يبشره بالنصر قائلاً ((أطال الله بقاءك وكبت أعدائك وجعل من يشنأك فدائك أكتب إليك ورأسك علي بن عيسى بين يدي، وخاتمه في اصبعي والحمد لله رب العالمين)). ولقد سر المأمون بهذا النصر، وأرسل لقائده طاهر إمدادات جديدة وكذلك الخلع ولقبه بلقب ((صاحب خيل الدين)).

أما الأمين فقد أرسل رسالة تهديد ووعيد لطاهر بن الحسين ولكن هذا لم يأبه برسالة الخليفة، وواصل تقدمه غرباً صوب بغداد حيث قسم قواته قسمين أحدهما تحت قيادته والآخر بقيادة هرثمة بن أعين. التقى طاهر بقوات الأمين مرة أخرى بقيادة عبد الرحمن بن جبلة الأنصاري ، فاستسلم عبد الرحمن واندفعت قوات طاهر ودخلت الأهواز، وفشلت قوات الأمين للمرة الثالثة ليصبح طاهر بعدها على مشارف بغداد .

ولقد ترتب على هذه الانتصارات أن انهارت معنويات رجالات الخليفة الأمين وولاته على الأقاليم فأخذوا يعلنون انضمامهم لطاهر بن الحسين الواحد تلو الآخر، فانضمت البصرة والكوفة وكذلك الموصل، وبدوره قام طاهر بإرسال عمال إلى مكة والمدينة يدعون إلى المأمون. واصلت قوات طاهر وهرثمة زحفها نحو بغداد وضربت حولها حصاراً شديداً وضربوها بالمجانيق ومنعوا عنها الإمدادات حتى ضاق الأهالي ذرعاً من هذه الحالة، وفي هذه الظروف أخذ طاهر يتصل ببعض قادة الأمين ويغريهم بالانضمام إليه فلجأ إليه نفر منهم عندما أشتد الحصار على بغداد بدأت اتصالات بين الخليفة الأمين وطاهر الحسين، ويذكر أن الخليفة طلب الأمان لنفسه ، في رسالة لطاهر ذكر فيها ((... أما بعد ، فأنك عبد مأمور تنصحت فنصحت ... وقد رأيت الصلاح في ... فأعطني الأمان على نفسي وولدي وأمي وجدتي وخدمي وحاشيتي وأنصاري وأعواني حتى أخرج أليك وأتبرأ من هذا الأمر إلى أخي ...)).

وعلى ما يبدو فإن رسالة الأمين لم تجد قبولاً لدى طاهر ورفض اعطاء الأمان إلا بعد تسليم بغداد ، وبسبب هذا الرفض توجه الخليفة الأمين إلى هرثمة أبن أعين الذي وافق على إعطاءه الأمان على أن يسلم نفسه، لكن عيون طاهر علمت بما دار بين الخليفة الأمين ويبن هرثمة بن أعين فقرر طاهر إبطال الخطة، وأرسل إلى هرثمة بن أين يلومه ويقرعه على هذا التجاوز بعد أن وضع كمائنه على الطريق التي سيتحرك عبرها الخليفة الأمين الذي قبض عليه وقتل، ثم اقتحمت بغداد بشكل عام ونادى طاهر في الناس أنه من لزم بيته فهو آمن ووضع بسوق الكرخ وقصر الوضاح جنداً على حاجته.

اجتمع طاهر مع أعيان البيت العباسي وطلب منهم البيعة للمأمون فبايعوا ، وهنا نتوقف قليلاً لننظر مدى تحمل طاهر المسئولية على طاهر بن الحسين والبعض الآخر ينحى باللوم على سيده المأمون وهنا يذكر المسعودي أن زبيدة عندما علمت بمقتل ولدها الأمين أمرت بثيابها فسودت ودعت بدواة وقرطاس فكتبت إلى المأمون:

لخير إمام قام من خير عنصر وأفضل راق فوق أعواد منبر

وارس علم الأولين وفخرهم وللملك المأمون من أمن جعفر

فلما قرأ المأمون شعرها بكى، ثم قال اللهم أني أقول كما قال أمير المؤمنين علي بلغه قتل عثمان ... ((والله ما قلت ولا أمرت ولا رضيت ... اللهم حمل قلب طاهر حزناً))

ولما لقيت زبيدة المأمون قالت له يا أمير المؤمنين، إن لكما يوماً تجتمعان فيه وأرجو أن يغفر الله لكما إن شاء الله ... وفي رواية أخرى أن زبيدة قالت للمأمون عند دخوله بغداد:((اهنيك بخلافة قد هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك، ولئن كنت قد فقدت أبناً خليفة فقلت عوضت أبناً خليفة لم ألده، وما خسر من اعتاض مثلك ... وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ وإمتاعاً بما عوض

... وكان المأمون قد بذل غاية جهده في إكرام زبيدة وأسرتها. وعلى كل حال فهذه مواقف تلقي بظلال الشك حول مسئولية المأمون عن مقتل أخيه الأمين وإذا صدقت هذه الروايات فاعتقادي أن المأمون بريء من دم اخيه.

من استعراضنا السابق اتضح لنا ان شخصية طاهر أخذت في الظهور بشكل واضح في عهد الخليفة المأمون الذي أحاطه برعايته وعنايته، الأمر الذي أثار حفيظة الفضل بن سهل الذي كان يعتبر الرجل الأول في بلاط المأمون حتى أنه أظهر هذا الأمر لوالد طاهر وهو في مدينة مرو فقال له :((لقد تغير أبنك واغتر فنسي نفسه، فأجاب حسين والد طاهر: أيها الوزير إنني شيخ وعبد مطيع لهذه الدولة ... وولدي طاهر أكثر عبودية وطاعة مني ...)) وقد نتج عن هذه الحساسية أن دبر الفضل أمر ابعاد طاهر عن بغداد، حيث أقنع الخليفة المأمون بأن طاهر هو خير من يقوم بإخماد ثورة نصر بن شبت العقيلي، وبذلك يضمن الفضل أبعاد طاهر عن بغداد ، وثم تكليف طاهر فعلاً، واوعز الفضل للخليفة بتعيين أخيه الحسن على ولاية بغداد وعين فعلاً ، ويبدو أن طاهر قد أدرك حقيقة ما دبر له فلم يكن جاداً في قتال نصر وتقهقر قواته نحو الرقة فأمر المأمون أن يحل عبد الله مكان أبيه في مواصلة ضرب ثورة نصر، وأعفي طاهر من هذه المهمة.

ولاية طاهر بن الحسين على خراسان:

اضطربت أمور بغداد في فترة تواجد الخليفة المأمون في مرو، إذ خلعه أهله وبايعوا خليفة أخر لأنهم سخطوا عليه بسبب إعطائه ولاية العهد لأحد أبناء الأسرة العلوية بالإضافة إلى تغييره للسواد شعار الأسرة العباسية بالخضرة شعار الأسرة العلوية. ولقد عجز الحسن بن سهل عن ضبط الأمور في بغداد فزادت الحالة سوءً ولم تكن أخبار بغداد تصل إلى المأمون بسبب التعتيم المتعمد من قبل الفضل بن سهل الذي كان يتسلم الرسائل الواردة من بغداد، لكن المأمون علم بما يدور في بغداد عن طريق ولي عهده العلوي علي الرضا.

شعر الخليفة المأمون بخطورة الموقف وقرر التحرك إلى بغداد وفي هذا الأثناء أراد يطيب خاطر طاهر فأرسل إليه لمقابلته، ويعتبر هذا رد اعتبار لطاهر بن الحسين، وفعلاً دخل المأمون إلى بغداد بعد أن تخلص من الفضل بن سهل وعلي الرضا، وكان استقبال أهل بغداد وعلى رأسهم أبناء عمومته للخليفة استقبالاً رائعاً، وعاد الهدوء والأمن والطمأنينة إلى ربوع البلاد بفضل الترتيبات التي اتخذها الخليفة المأمون.

أما منطقة خراسان فقد تجددت فيها الاضطرابات فوالي خراسان آنذاك غسان بن عياد أظهر التمرد خاصة وانه كان على صلة بالفضل بن سهل، وكذلك تفجرت ثورة بابك الخرمي في عام 201هـ / 816م، وكانت من القوة بحيث أقضت مضاجع المأمون، وقد صادف في هذه الفترة تحرك للعلويين في منطقة قزوين .

أما هذه الأوضاع المتردية في المشرق كان على المأمون أن يتصرف بشجاعة وحكمة، فإذا علمنا أن ثقة المأمون في طاهر بن الحسين كانت كبيرة نظراً لمقدرته وكفاءته وخبرته في منطقة المشرق فقد أسند إليه الخليفة ولاية المنطقة، كما أسند إلى أبنه عبد الله قيادة الحملة العسكرية ضد ثورة نصر التي أشرنا إليها، وكذلك أسند إليه شرطة بغداد، وعندما كلف عبد الله بالقضاء على الفتنة في مصر أسندت شرطة بغداد إلى أسحق بن إبراهيم الطاهري، معنى هذا أن الأسرة الطاهرية وصلت إلى مركز مرموق في بلاط الخليفة .

ظل طاهر والياً على خراسات حتى وفاته عام 207هـ / 822م تذكر بعض الروايات أن وفات طاهر حدثت مباشرة بعد خطبة ألقاها دون ان يذكر اسم الخليفة، الأمر الذي حدى ببعض المؤرخين أن يشير بأصابع الاتهام إلى الخلافة ، لكن هذه الرواية ضعيفة بدليل أن المأمون ظل على علاقة وطيدة ببقية أفراد الأسرة التي ما كانت لتطمع في ان تصل إلى مركز أعلى مما وصلت إليه في عهد المأمون، وهذا رد على من يحاول القول بأن طاهر ربما أسقط أسم الخليفة ومن

ناحية أخرى فما دامت الوفاة قد حدثت في اليوم التالي لخطبة الجمعة فما هي نوعية الاتصالات التي تمت بين المأمون ورجاله في خراسان وهل كانت سريعة إلى هذا الحد حتى يتلقوا أمراً بالتخلص من طاهر لو صدقت الرواية ؟ الحقيقة أن أمراً كهذا يصعب الأخذ به أو تصديه نظراً لبعد المسافة بين بغداد ونيسابور مقر الأسرة الطاهرية.

عهد المأمون بولاية خراسان إلى طلحة بن طاهر، بعد وفاة والده وقد بذل طلحة مجهودات واضحة لإقرار الأمور في خراسان وخاض حرباً شرسة ضد الخوارج في هذه المنطقة وقتل زعيمهم حمزة الخارجي في عام 213هـ وهو نفس العام الذي توفي فيه الأمير طلحة حاكم الدولة الطاهرية.

وعندما علم الخليفة المأمون بوفاة طلحة أعطى خراسان لأخيه عبد الله بن طاهر الذي كان منشغلاً آنذاك في حرب ضد ثورة بابك ، وظل عبد الله والياً على خراسان حتى وفاته عام 230هـ فأصدر الخليفة الواثق أمراً بتعيين ابنه طاهر على ولاية خراسان وكان يكنى بابي الطيب وقد استمرت ولاية طاهر فترة طويلة نسبياً حيث توفي عام 248هـ فأعطى الخليفة المستعين ولاية خراسان لأبنه محمد. وتذكر بعض المصادر أن محمداً هذا كان غافلاً لا يقدر العواقب ، فانصرف إلى الشراب واللهو حتى أن طبرستان ثارت عليه بسبب تصرفاته وخرج عليه الحسن بن زيد عام 251هـ وكان سليمان بن عبد الله بن طاهر والياً على طبرستان في هذه الفترة فحاربه الحسن وهزمه ودخل إلى طبرستان .

أما بالنسبة لخراسان فقد ظلت تحت حكم الأسرة الطاهرية ، وكان آخر حكامهم هو الأمير محمد بن طاهر، ويبدو أن انقساماً قد وقع بين محمد وأقربائه الأمر الذي دفعهم إلى الاستعانة بيعقوب بن ليث وجرأوه على الدخول إلى العاصمة نيسابور في عام 259هـ فانتهت الدولة الطاهرية بعد أن سقطت عاصمتها في يد الصفاريين .